مشكلة تعليم اللغة و أثرها السيكولوجي على مهارات الفرد وتحصيله المعرفي

وردة معزي
أستاذة لمادة الفلسفة - ثانوية ابن باديس قسنطينة

مشكلة اللغة وعملية التعليم

إن تعليم الطفل (التلميذ) اللغة بطريقة النحو ، أو استبدال لفظ مكان لفظ مرادف كان أو نقيضا في دراسة اللغات الأجنبية طريقة قليلة النفع ، فإذا كان الهدف هو كتابة اللغة فإنه يجب تنمية القدرة – وهذا الأكثر صعوبة – على استخدام الصيغ اللغوية ، والتي بدورها تمرن التلميذ عليها بوساطة القراءة المستمرة والمنظمة الفردية والجماعية بصوت مسموع للتمرن على النطق السليم إن القضية لا تقف عند هذه الحدود إذ : كيف يمكن استغلال القدرة على تعليم اللغة؟

المعنى سابق عن اللغة :

إذا كان الحديث منصبا على قدرة الشخص على استخدام اللغة بعد تعلمها ، فإن هذه القدرة بحاجة لمراعاة الجانب العقلي قبل الناحية العضوية ، أعني الفهم والإدراك قبل النطق والكلام ، ذلك ان من الناحية الواقعية نجد أن الإنسان لا ينطق بكلمات وألفاظ ثم يتجه باحثا عن معانيها ، وإنما على العكس من ذلك فهو يدرك المعاني أولا ثم يبحث عن أساليب تعبيرية لإيصالها ، بحيث قد يكون استخدام الألفاظ والتراكيب اللغوية أحد هذه الوسائط وبالتالي بالنظر لطريقة تعليم اللغة للطفل نجد أن هذه الطريقة ظلت في تهميشها للمستوى العقلي ، وإقصائها لعضلة نمو القدرة على الإدراك ولذلك :

الاقتراح

1) ينبغي توجيه العناية في تدريس اللغة إلى التركيز على المعاني والأفكار بقصد تنمية القدرة على تكوين الجمل وصوغ العبارات وبهذا : يتبين أنه ليس من الضروري أن نطالب التلميذ بتعلم المفردات والقواعد التي تدخل في تصحيح وضع الأسماء والأفعال والإشارات وتحديدها وترتيبها ، بقدر ما نجد ضرورة ملحة في التركيز على المعنى الذي يراد من الجملة نقله للقارئ أو السامع ، بصفته هو الذي يحدد وضع الكلمات ، هذا في المراحل الأولى من التعليم الأساسي.

لكن إذا كان المعنى يدفع المتعلم للبحث عن قوالب لفظية كوسائط تعبير يتطلب استخدام اللغة ، فهذه اللغة بدورها ضرورية الحضور لهذا:

2) ينبغي أن يكون التلميذ قادرا على استخدام اللغة ، ولتوفير ثروة لغوية ، وتأمين الأدوات التعبيرية عند الطفل يجب استغلال مرحلة التعليم التحضيري بتثبيت وحفظ القرآن مما يكسب الطفل ثروة لغوية ، ويؤدي به لترسيخ قيم ومعاني تتفاعل مع شخصيته على مدى بعيد.

- كما تقول الحكمة الأمريكية . << ذلك أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر >>. وحتى لا يجد صعوبة عند بداية القدرة على نمو المعاني وتطور الإدراك وسهولة الفهم عند المتعلم ، فإن طريقة الحفظ المبكرة باستغلال مرونة الذاكرة عند الطفل توفر الثروة اللغوية ، وتكسبه فيما بعد مهارة لقدرة على التعبير ، والقيام بالنشاط الاستدلالي والتعبير عن أفكاره . واتجاهاته وإمكانية الاختيار لا نجع الأساليب وأكثرها إيجابية ، ذلك أنه من المؤكد أن أول شيء يجب على الفرد فعله قبل التحدث أو النقاش أو الكتابة تحديد المعاني التي يرغب في نقلها ، أو يهدف لإيصالها . وبانتقاء الوسائل التي تحقق هذه الطريقة العكسية في تعليم اللغة كمهارة ، وإحداث انقلاب منهجي بالنظر لما هو قائم ، فإن تعليم اللغة سيثمر ويحقق أهدافه المرجوة ، ويتخلص من دغمائية المهارة الآلية ، الناتجة عن تطبيق القواعد واستخدام الرموز ويخلص التلميذ لإدراك ما يتعلم ، أو من تحديد نتائج ما يتعلم واستعمالاته ومغزاه ، تفاديا لمشكلة خلق التوازي بين المدرسة والحياة ، وبغية في جعل المدرسة هي الحياة ببعض الاعتبارات البراجماتية.

النتيجة

1 هكذا تكون عملية اللغة ها هنا متضمنة للاستبصار.

2 وبما أن عملية التدريب على اللغة ذات اتصال ضروري بالقراءة إذن يجب تنمية طرق تعلم القراءة والاستعانة بالبحوث التجريبية التي عنيت بذلك .

3 ينبغي إدخال وسائل تحديث على تدريس اللغة بصفتها وسيلة اتصال.

وسيلتا اتصال الطفل ببيئته غير المباشرة (الإبصار والسمع) أكدت البحوث البسيكوتربوية ، والوقائع ، أن دور البصر بالغ الأهمية في حياة الطفل ، والتأثير على نموه العقلي ،

بدليل الملاحظة لنمو قدرة الطفل على الاستجابة للحوادث المحددة زمانيا ومكانيا في الحاضر ، فاستجابته وتذكره أكثر تركيزا عكس الراشد الذي تزداد قدرته على الاستجابة واستدعاء الذكريات بتقدمه في السن.

ولذلك فالأساليب والمناهج التربوية الأكثر نجاعة هي التي تراعي مقياس أثر حاستي البصر والسمع عند الطفل وهذا يتطلب:

الاقتراح

1 الابتعاد عن تدريس المواد النظرية المجردة في مرحلة مبكرة من التعليم كالرياضيات.

2 ضرورة الاستعانة بمناهج علمية وضعية مشخصة في التدريس ليس بهدف إيصال المعارف وإنما بهدف إنماء القدرة على توظيف المعارف والتحكم فيها كأثر لنمو المهارات العقلية .

إن عقبات التجريد وانعكاسات المواد الدراسية والمناهج غير العلمية على شخصية الطفل ذات أثر بالغ الخطورة ، إذ تشخص خطورته ومساوئه مدى الحياة

اتساع النشاط الذهني :

(مؤشرات ووقائع) من التعليم الثانوي ماهي أسباب ضعف وتدني المستوى باختصار ؟ :

1 أستاذ مادة الأدب العربي (س) : ضعف التحصيل اللغوي نتيجة لضيق خيال التلميذ.

2 أستاذ (2) في الفيزياء يرد ضعف التلاميذ في الفيزياء امتداد لضعفهم في اللغة ، فإذا كان التلميذ يفتقر لوسيلة الاتصال الحسية كيف يمكنه الارتقاء لإدراك العلاقات ودقائق هذا العلم اللامتناهي

هذه الشواهد تؤكد أهمية الاتصال الحسي البصري الذي نجد مضمونه ضعيفا في :

أ محتوى البرامج (نعني بذلك الوزن السيكو معرفي لمضامين البرامج)

ب طرق التدريس وأساليب الاتصال بين المعلم والمتعلم ونعني بهذا أساليب الاتصال بين المادة الدراسية وعقل التلميذ ، فالموضوعات الدراسية المقدرة في اليابان تشترط ملاءمة المناهج الدراسية للقدرات والاستعدادات المختلفة للطلبة وهو أحد أسرار نجاح تجربة اليابان التربوية . إذن: كيف تنمو القدرة على التعلم ؟

تنمية القدرة على التعلم :

تنمية القدرة على التعلم تتطلب تنمية خيال الطفل وذلك باستخدام ميكانيزمات تنمية القدرة على استخدام الرموز ، فالطفل في بداية نموه تعود على الكف عن البكاء بمجرد رؤية رضاعة اللبن ، ثم تعود على ارتداء الثياب الخاص بالخروج فهو يتعود على الابتهاج والسرور بمجرد رؤية والدته حاملة لهذا الثياب مقتربة منه والتلميذ الذي اعتاد مشاعر الخوف والانقباض في حجرة الدراسة ، تنتابه هذه المشاعر بمجرد سماعه صوت الجرس أو رؤية الكتاب أو المدرس . هذا الاستعداد لاستجابة للرموز ، بصفتها أشياء جزئية يبين بوضوح أن :

1 الرموز لها تأثير على نشاط العقل والميول الوجدانية.

2 نظرا لما للصيغ الرمزية من أهمية يجب تنمية وتنويع مضامين وأساليب استخدامها كوسيلة لتنمية القدرة على التعلم.

3 أصبح واضح أن دلالة هذه الترموز تنعكس على القدرات العقلية للطفل ، وبالتالي حسب أهميتها وعمقها وقيمتها يتحدد حجم النشاط العقلي عند الطفل وقدرته على الاستدلال (التفكير) .

4 إذن : من الحكمة تحليل الدلالات والمعاني الرمزية في الكتاب المقرر ، ثم تحليل آثار هذه الدلالات والمترتبة في انعكاسها على شخصية الطفل على المدى القريب والبعيد ، ذلك أن كل نشاط عقلي

استدلالي إن هو إلا حلقة جديدة من نشاط العقل تستعين بما سبقها من خبرات، وبديهي أن الكائن البشري تزداد قدرته بمرور الوقت على التفكير الذي يتشخص من خلال وضعه للخطط:

- حله لبعض مشاكله
- صور لحلول للمشاكل

التطلع للمستقبل واختياره مشروعا لنفسه

كلما كانت الصيغ الرمزية (في القراءة خاصة عند الطفل) عميقة المدلول كلما ازداد عقل الطفل نضجا، وشخصيته وزنا.

وهذا يتطلب إثراء وتنويعا للرموز، وانتقاء لها، فبدلا من النصوص في القراءة التي تتحدث عن الحياة العادية وتلفت المعارف أو التراكم المعرفي الاجتماعي، التلقائي، فهناك البدائل النوعية الترفيهية عقلا وخلقا مثل وظيفة الكتاتيب ذات الوزن التربوي والرصيد التاريخي، والمعرفي بصفتها تيسر للطفل الانتقال من:

من الاستكشاف الحسي إلى الاستخدام اللغوي

الطفل يستخدم حواس للاتصال بالعالم الخارجي، والعالم الخارجي يوحي لعقل الطفل بدلائل رمزية، فالعلاقة بينهما جدلية، علاقة صراع إيجابي، وتطور بين اللغة والدلالة، بين القدرة على استخدام اللغة والقدرة على تنمية المهارات العقلية، ذلك أنه من الوجهة السيكولوجية توجد قضية تفرض نفسها على الذهن، وهي اهتمام الطفل باستخدام اللغة يكون في البداية بالمناغاة، وبوادر النشاط الإيهامي (الخيالي)، كمحاولة الطفل تقليد مختلف الأصوات، ومحاولته الاتصال بالآخر بواسطة الصوت أيضا، على أن هذا النشاط يزدهر بوجه خاص في اللعب، ويتطور لمستوى الاستفسار حيث يكثر الطفل من طرح أسئلته الأنطولوجية، مما يحتم تقدير هذا المخلوق العظيم (العقل)، إنه يتساءل ويبحث عن الإجابة، وفي كل ذلك يستخدم اللغة فهناك:

تناسب النمو العقلي والنمو اللغوي

النمو العقلي يقاس أحيانا بمدى تزايد القدرة على استخدام الكلمات والقدرة على اختيار الألفاظ والعبارات على أن هذه القدرة تتزايد متزامنة مع نمو الفرد واطراد تعلمه، وعلى أنه اتضح في عدة دراسات أن معاني بعض الألفاظ التي كانت تتكرر كثيرا ويعتقد بأن التلاميذ يحسنون فهمها، هي في الحقيقة غامضة في أذهانهم، وسبب ذلك أن نمو المدركات والقدرة على الاستدلال عملية بطيئة، ويتضح ذلك بالاتجاه للمقارنة بين عمليات الاستدلال عند الأطفال والراشدين، إذ تبدو لأول وهلة متشابكة والحق أن هناك فروقا كثيرة المشكلات والميول لدى الأطفال والراشدين، وبالتالي كلما كان الطفل صغير السن، كلما كان تفكيره متصلا بخبراته المباشرة وميوله الحسية، فإذا تقدم به العمر صار أكثر قدرة على إدراك المفاهيم والارتقاء عن المشكلات المحسوسة، هذا ما يلاحظ عليه فيما يتصل بـ:

- زيادة المعاني المرتبطة بمختلف ألفاظ اللغة التي يستخدمها.

بروز اهتمامه بالأمور الاجتماعية.

- نمو قدراته على الإدراك كانعكاس لنمو معلوماته.
- إمكانية تحسينه المستوى التعليمي.

وفي الختام:

أشارت البحوث أن تدريس مواد ومشكلات أعلى من مستوى خبر التلميذ يضعف الاستجابة التعليمية لديه، وينعكس ذلك على المردود التربوي إذن: لابد من التناسب بين القدرة العقلية والنشاط التربوي ذي الأساس اللغوي من أجل التأثير المشترك للنمو والتعليم.